

ولم أر احداً حكى قول الاصفهاني الا واتى عليه باللوم . ونحن لا نرى في
الطعن فائدة (١) لانا نعلم كثيراً انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ
من قوله ويترك ومن تتبع الفططات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من
الاشياء وامر من الامور ولا يبقى يديه شيء من الحق وذلك هو الحذر المين

كتاب الترية

كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف
سبندر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن
عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي بنى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ
الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه
التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

(١) المارح : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على
طعنه هذا بأبي مسلم واين هو من ابي مسلم بل اين منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟
انا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز
أبا مسلم بالجهل ومحمد من صديق حسن اهتداه بكتب الشوكاني ومحاربه التقليد
وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكتنا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا
هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لابي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف
أو ابدى علماً وفها فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة
المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟
ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه
منسوخاً ؟ فكيف يمد أبو مسلم من أجهل الناس بالشرعية ان وجد له هذه البضع
الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفيه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعاً حسناً على ورق جيد
فبلغت صفحاته ۱۴۳ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلى في نادي دار
العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حقي بك ناصف) بأمنيتهم فواقعت رغبته ورغبتهم
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة
الاولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع
عبد العزيز (نمرة ۵)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ۲۸۰
اودعه ما رواه عن النساء من خطبين وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وانخبار ذوات
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام ففیه من الخطب خطب عائشة
ام المؤمنين في فضائل ايها وراثته وخطبها السياسية بالبصرة وخطبها لما بلغها قتل
عثمان وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لامنمها أبو بكر مبرأها وغير ذلك
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات
منهن مع معاوية في تخطبتهما كما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الأزواج
مدحاً وذكماً ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن ثراً ونظماً ، ولته
خلا من اخبار مواجهن ، واحاديث رفقهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفني طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

٣٥٤ مطالع البدور . تمحفة المدارس . الحمامات المعدنية (المنارج م٤ ١١)

ما رآه خنيا من مفرداته حتى بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالظلم منه بالظهوره وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٥٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن وبات الخلدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً ونثراً جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو انخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وتمهما عشرة قروش وثمانون الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تمحفة المجالس و زهرة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصصين والنساء والمشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق المطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضما الطيب بيورفي بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي وقتلها الى اللغة المرية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(المبارج ١١م ٤) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش
فبحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص
بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام - والرد على لورد كرومر

كسب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها فبلغت
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في (المرأة في
الإسلام والنصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على
كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وضمن النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظنون هذا التقرير انتفاخ من توقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست
المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن
من فروع التفسير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة
التقرير السنوي بالبرية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه
فما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والبرية في وقت
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب
انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسبه بقدر ما كان ذلك يخاشنه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه الحاسة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيا بعد زيارة الامير الملك الانكليز في هذا العام ، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير تواريخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نعيه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يسمح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يمن له من الآراء والخواطر او يراه من غريب المناظر . وقد أهدى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم «كلمات لقاسم بك أمين» فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش مسيحة تعظيما لقيمه المعنوية وانا نقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحصل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة يتجرعها الحليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينها خلاف حقيقي لاني الخال ولا في الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فهما كثرتا معارف الانسان لاعلا كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار له ولا حد لاني الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر
مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان
الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجودا رجحت مع الراجحين
لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصابن أحد حتى الاله من نصبه
أتهس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسبه في حياته فيفسد عليها لذتها
وينقص عليها شهوتها
وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية
حنا افندي الضحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن العبا
نبوغا قمار به في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته
المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعيد من آيات حياة العربية
قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها
فرائد اللغة التي هجرها الكتاب اقله اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين
وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين الجيدين ونقل فيها الاغلاط الشائنة الآن
طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى
الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئا الا بعد قراءتها قلنا لا بد لهذا
من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعلمه باننا نعرف قيمة هذه
الترجمة البليغة . ونحن الجزئين معا عشرون قرشا وهي تطلب من طالبها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر
انشأها أحمد افندي حلي شهر محرمي جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان
من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة
الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في السنة

الفصل الخامس (٥)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام، واني بليغ لا تأخذه المية اذ ادعي تصور هذه المنزلة ،
سيدة بطلمتها الفخامة والشرف يتجيان ، والجمال والكمال بألقان ،

ومزايا كازهر نقعاً وطياً وكزهر السما بهاءً ونورا

من شرف حسب ، الى كرم محدد ، الى سوؤد قليل ، الى عز عشيرة ،
الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجبى ، الى طهارة نفس ، ذلك
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في
المكاة الطالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولا نبأها بغير من الانباء ،
بل هي معبودة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب
بغير الخمول ، قد طويت اعلامهن ، ولم ينشر ذكركهن ، ولم يسم في
أقوامهن مقامهن ، فكيف تسمى اسم « خديجة » وعلت منزلتها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعاتهم . وليس
يكافى تعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه
علياً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجة

الكرامة عند من لا يعرف مزيها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم
فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعاده
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعاده جدهم ،
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلمون
الامن استعان بجيش من الخيل والخياع ، وحواش من النقائص المتخلية
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لو فرقة مزايها الشريفة فنحن
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها
هي التي نالت مقاماً كريماً في قرين بل كثير من فضليات نسايم نلن المقام
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي محدود، وعقل مذكور ، ونفس مشابهة
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمطورة سيدة من اولئك
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
نحن نعلم ان أكثر الناس يمرون بالمرية يهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها
مالم تكن رائحة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيها يهدونه ايضاً
ما يستحق الالتفات اليه ، ويعري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والتناقل
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المهود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفنا الألفة
 عن إجلال شأنها هي في جلاله الشأن عند الإيمان فوق ما تصور. وفي
 كثير مما لا تفكر فيه منها ما نخر الافكار صائفة أمام زاخر نواته
 وباهر أسرارها فلذلك أحيانا ان تمر بقارئنا سرية في تفصيل جملة تلك
 المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانها
 اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد
 يكون قارئنا من حزب الاكثرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا
 يطربون بنير العرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المعبود ، ولم نهد ما وراء المشهود ،
 ولا عندنا مبتدعات التصور ، ولا لنا بنبرات الحوادث ، وشواذ المصادفة
 وخوارق العادة ، ولم نمت الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومألوف
 لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعبودات
 على ما قلنا . واذا بنا اليها بنظر الإيمان غير وسناة عين بصيرتنا ألتينا فيها
 عند سام النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور
 وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه
 الوحدة ابناً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم
 يكن حسناً ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الامم من الصور التي لا نحصى
 انا بتذكرا من نادوا وشادوا ، وتذكرا من صلحوا وأصلحوا ،

بتذكرينا من أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ أماننا الحياة وترتاح نفوسنا
بإستجلاء أحسن صورها، وتوارد عليها اللذة بأشتياتها إلى نصيب من
زوة تلك الأم التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك
المظاهر ولا يسي تلك الصور، ولم لا تتوق إلى حديث ذلك التراث وهو
يلا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنه جواهر مخبراً فهي لا تسجز
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل بلوغ ما تميل إليه
النفوس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها،
وأطلع لنا في شخصها زواجر الانسانية الفضلى، وبور هذه الزواجر رأينا
مدارك قريش في الافق الأعلى، وتربيتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا
نحن مشرقي الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثراً في
الحقيقة متبوزا الحظ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة
شريفة مسمدة لهاحبها وغيره وتليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى
النافعة الآتية بالنبطة والجور، ولدى التأمل نجد استمداد فطرة الشخص
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير
فاذا اجتمع في الشخص استمداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،
والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر
النفس اذا كان غير صالح لقطها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ما نشاء،
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر
جديراً بالتقوية وقلنا رأينا من نوره به او التفت اليه فلذلك عيننا به نحن
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولا ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشتهر
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف ، والمردودات حتى يطلق عليها
اسم المنكر ، ويضطر الناس الى تحرير ترية عمومية هي اذ لا يخالف المعروف
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبج في المسكوت عنه من الاشياء حتى
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجبه على نفسه ، وذلك
يستتبع شيئاً حتى يجرمه عليها . وأعتل الناس في هذه الاشياء المسكوت
فنها من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف ، وكل ما قرب
من المنكر كان مستردلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .
والاصل في المنكر هو الاذى والعدوان وعليه تيسر الاصل في المعروف
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فعلى هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعاليمها نشاد
الاعمال فيها

وأى باحث لا تأخذه هيبة اذا اطعم على ما كان لقوم مخدمجة من التمتع
في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل،
أى والله ان هؤلاء القوم انازلوا في ذلك البلد الصغير البعيد، واخوانهم
الآخرين الضاربين في تلك النياقي، يدهش المتطالع ما يراهم من الباع الطويل
في فن التربية على مقتضى مجتمهم ذلك. فترجم مثلاً لما كانت السامة
ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جمالوها في المنام الاول ولم يأوا
بطبعها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بنموا بهمهم في الجود الكواكب
وازانت الارض بمنابهمهم، واياراخيهم الانسان على انفسهم، كما فعل
كعب بن مامة الذي آثر رقيقته بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان
وكل مكان تجدهم جملوها شماراً محامداً وتاج المناقب وسيروا فيما ضربه
من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ملقى» وكانوا يهادجون بالموت
قتلاويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن
أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه
وأخوه وعمه. اننا لانموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت
ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خنفاً منه» ذلك لانهم
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للمدمم أكثر
من الحياة الشريفة ومثل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي
(المنار ج ٤) (٤٠) (المجلد الحادي عشر)

عدداً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها
 لا يستكرن أحد إذا قيل له ان الشجاعة - وهي السجية التي لا ترق
 الام اذا خلت منها - كانت في العرب من الاخلاق الفاسية التي لا يعتدون
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قومهم انطباع هذا الخلق فيبالن
 أكثر شيء كانوا يتناقون به هو حديث الشجمان واقدامهم في الشدائد
 حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهناك من الشعر في
 الشجاعة والشجمان ما يفعل في النفوس فعل السحر فيستزلها من الخوف
 على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في
 سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهور شعرائهم:

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن عرض الخوف بمزل
 فاجتبا ان النية منهل لا بدان أسقى بكاس المنهل
 فاقني حياء لا ابالك واعلمي أنني امرؤ سأموت ان لم أقتل
 وقد يظن ظاناً ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا
 الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا زبدان تأتي بآية على
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا
 ان نذل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذ أراد كسرى
 أن يوقع سوءاً بيني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم
 جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجزوا له واعانهم قبائل أخرى
 فتوافروا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي ائمة مشهورة كثرت فيها الاشعار،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى الثمار، وانقضاء العار،
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبجهم
لقوا مللمة شهباء يقدمها
فرع نمته فروع غير ناقصة
فيها فوارس محمود لقاؤهم
لما رأونا كشفنا عن جماجنا
قالوا البقية والهندي يحمدهم
لو ان كل ممدٍ كان شاركنا
لما أمالوا الى النشاب أيديهم
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت
بطارق وبني ملك مرازبة
من كل مرجانة في البحر أحرزها
كأنما الآل في حافات جمهم
ما في الحدود صدود عن سيوفهم

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرج العجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة
وما يعدون من يوم سمعت به
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة

وفيها يقول شاعر آخر من بني عجل
ان كنت سافية يوماً ذوي كرم
فاتي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس جاءوا عن فمارهم وانلي مفار قهم مسكاور مجانا
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة المربية أكل مظهر وكان
المنذر لهم بنية كسرى وعزيمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيبان
ينجبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والنحيس واستشارة الزائم
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فرعا
وقلدوا أمركم لله درككو ربح الذراع بأمر الحرب مضطلما
لا مترفاً ان رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشما
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمر على شزير مويرته مستحکم الرأي لا فحما ولا ضراعا (*)
وليس يشغله مال يثوره منكم ولا ولد يبنى له الرفعا

فيلي مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من
الشجاعة التي لا تقوام الامم بدونها وكانوا لا يتدنون بالجبان ولا يعدونه
شيئا مذورا . ينيك بذاك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد منارا لنا وفينا زياد ابو صصة
فتة رطط به خمسة وخمسة رطط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه الفقه والحكمة والمعارف
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها
من غير كتب وكانت لهم الملام قبل بحركات الكواكب والانهاء التي

(٥) المريرة طنة الجبل والجبل الشديد البتل . والشرد اقتل عن اليسار
واللغني استعكم امره ونوبت شكينه . وانفحم ارجل الهرم وانضخ الضعيف

تنبها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة
بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب
يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممذوز والنبات
والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكأوا
يبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة
عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق
ان تسمى علماً وإنما كانت الناسون يعرفون اخبار اولئك الاشخاص
واخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان اليب في اشتراك هذه المعرفة
باسم علم الانساب ان عارفي الاحبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب
التي من أهم نواندها معرفة تفريع القبائل والحقائق المتفرعة بأصولها على
شدة البمدين الاصول وتلك الفروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون
بهذا العلم يلقون منه على من يتعلّقون حولهم . قال رؤبه بن السجاج
قال لي النسابة البكري « يارؤبه لملك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني
وان حدثهم لم يفتنوني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاتي هذا
العلم حق الرغبة قال رؤبه فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال
فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،
ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من
الانصباب على حفظها ودراسة الحكم الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني
ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث « مني من العاني التي يخطر النفس فيها الاستحسان

أو الاستهجان إلا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا يثبتك ببعض ذلك شيء كالأثور من كلهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الأقوال ، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نهدم بالقارىء عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بتذكار الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسمت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن القرب المدوناني وحمزة بن رافع الدوسي اجتمعا عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحمزة أين تحب أن تكون أيديك ؟ قال « عند ذي الرتبة القديم ، وعند ذي الخلة الكريم ، والمعسر القديم ، والمستضعف الجليم » قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوّال ، والفني القوّال ، قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال « الحرص الكاند ، والمستعيد^(١) الحاسد ، والخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنمية ؟ قال من إذا أعطي شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مُطل صبر ، وإذا قدم المهدي ذكر « قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال « من إذا قرب منعه ، وإذا ظلم صفع ، وإن ضوبق سمح » قال من ألام الناس ؟ قال من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع^(٢) ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع »^(٣) قال فمن أجل الناس ؟ قال « من عفا إذا قدر ، وأجل إذا اتصر ، ولم تطفه عزة الظفر » قال فمن أحزم الناس ؟ قال « من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجبل

(١) المستيد هو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكسر (٣) الطبع فتحتين

العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيّب دبر أذنيه « قال فمن أخرج الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف المثار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار^(١) » قال من أجود الناس؟ قال « من بذل المجهود، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس؟ قال « من حلّى المعنى العزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزير » قال من أنعم الناس عيشاً؟ قال « من تحلى بالمغاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس؟ قال « من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم، على ما أنعم » قال من أغنى الناس؟ « قال من استشعر اليأس، وأظهر التجميل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس؟ قال من صمت فادكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس؟ « قال من رأى الخرق مغنياً، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف النعم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يمتنون به من الترية تثقيف أشقهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي أتوها وتمودوها في التعليم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني طليها الآخرون. ولكل فرع أهله الذين بهم اعتماد لا لتقاطه بسهولة ولا يكاف البليد في شيء ان يكاد في تفهمه مدرسته، أو ينفذي في حفظه ذاكرته، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من زهط خديجة الترية على العدل ولقد استقنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

وكذلك وانما بمدح النفاق وتشريف الاعضاء والنفاق، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم الأكرام وأجلها لقب الطاهر والظاهرة وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فإذا عرف المطالع الكريم ان هؤلاء القوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل نفي السماحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد الناطق المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدهر في البلدان او حد بل يصل ذلك الفضل برسالة وباني من يده سبحانه الى الثمرات الصنيرة التي في الادمية ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنوا بتوجيه العقول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من النوائص وتخليتها بالفضائل من لم يجملوا أكبر همهم تجويد المأكل والملبس والسكن والشراب . فاذا نشر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الحفاه بهم، واحتوت وار بنحس الوزن لهم، ولم يكن الافراد الذين تلقوا عمدة الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أكبر ميزات جماعته الاصر بالمعروف والنهي عن المنكر، او تلك الدين وافهم الوحي بنتمهم بتأم أمهه قالوا « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر وتؤمنون بالله »